

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [الجدالة: 5 - 6]

❁ مناسبة الآيتين لما قبلهما:

لما ذكر تعالى المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين
المُخالفين لها⁽¹⁾.

ولما جرى ذكر الكافرين، وجرى ذكر حدود الله نفل الكلام إلى
تهديدهم وبشارة المؤمنين بالنصر عليهم⁽²⁾.

وأما مناسبة الآية الثانية للأولى فهي أنه تعالى لما ذكر عذابهم
ذكر وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه وكمال قدرته⁽³⁾.

❁ شرح المفردات:

(1) ﴿كُبِتُوا﴾: (كبت) أصل يدل على الإذلال والصرف عن الشيء⁽⁴⁾،
ومن ذلك يقال: كبت الله العدو يكبته، إذا صرفه وأذله⁽⁵⁾، وردّه بغيظه⁽⁶⁾،
والكبت: الرد بعنف وتذليل، قال تعالى: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ
يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: 127]⁽⁷⁾، والكبت: الصرع⁽⁸⁾، والكبت:
كسر الرجل وإخراؤه⁽⁹⁾. والمراد بالكبت هنا: الخزي والهلاك⁽¹⁰⁾.

تهديد الكافرين
المتجاوزين
حدود الله

تعيين وقت
العذاب للمهين
الموعود

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 288، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 124.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 355، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 23.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 357.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبت).

(5) الجوهري، الصحاح: (كبت).

(6) ابن سيده، للحكم والمحيط الأعظم: (كبت).

(7) الراغب، المفردات: (كبت).

(8) ابن منظور، لسان العرب: (كبت).

(9) ابن سيده، للحكم والمحيط الأعظم: (كبت).

(10) الزمخشري، الكشاف: 4/ 489.

(2) ﴿مُهَيَّنٌ﴾: (مهن) أصلٌ يدلُّ على احتِقَارٍ وَحَقَارَةٍ فِي الشَّيْءِ (1)، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: مَهَيَّنٌ؛ أَي: حَقِيرٌ، وَالْمَهَانَةُ: الْحَقَارَةُ (2). وَالْمَرَادُ بِالْمُهَيَّنِ هُنَا: أَنَّهُ يُلْحِقُ بِهِمُ الْهَوَانَ وَالذُّلَّ (3).

(3) ﴿أَحْصَاهُ﴾: (حصى) أصلٌ يدلُّ على العَدِّ (4)، وَمِنْ ذَلِكَ: الْإِحْصَاءُ، وَهُوَ التَّحْصِيلُ بِالْعَدِّ (5)، وَذَلِكَ مِنْ لَفْظِ الْحَصَى؛ لِأَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ كَمَا تُسْتَعْمَلُ الْأَصَابِعُ فِي الْعَدِّ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: 28]؛ أَي: أَحَاطَ بِهِ وَحَصَّلَهُ إِحَاطَةً الْعَادُّ مِنْكُمْ، وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّنْزِيلِ مَعَهُمْ عَلَى مَا يَفْهَمُونَهُ (6)، وَيُقَالُ: أَحْصَيْتُ الشَّيْءَ، أَي: عَدَدْتُهُ (7)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ حُصُونًا﴾ [الزمل: 20]، أَي: لَن تَطِيقُوا عَدَّهُ وَضَبْطَهُ، وَمَعْنَى ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾: أَحَاطَ بِهِ عَدًّا، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ (8).

(4) ﴿وَنَسُوهُ﴾: (نسي) أصلٌ يدلُّ على إِغْفَالِ الشَّيْءِ (9)، وَمِنْ ذَلِكَ: النَّسْيَانُ، وَهُوَ تَرْكُ الْإِنْسَانِ ضَبْطَ مَا اسْتَوْدَعَ، إِمَّا لضعْفِ قَلْبِهِ، وَإِمَّا عَنْ غَفْلَةٍ، وَإِمَّا عَنْ قَصْدٍ حَتَّى يُحْذَفَ عَنِ الْقَلْبِ ذِكْرُهُ بِهِ (10).

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ وَلِنَبِيِّهِ ﷺ، فَيَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُعَادُونَهُمَا أَمْحُوا كَمَا أُخْزِيَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ خَالَفُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَقَدْ أَنْزَلْنَا دَلَالَاتٍ

مَنْ خَالَفَ
الْحَقَّ فَلَهُ سُوءُ
الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مهن).

(2) الخليل، العين: (مهن).

(3) الراعي، تفسير الراعي: 8/28.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حصى).

(5) الراغب، المفردات: (حصى).

(6) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (حصى).

(7) الجوهرى، الصحاح، والزيدي، تاج العروس: (حصى).

(8) الراعي، تفسير الراعي: 8/28.

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).

(10) الزاغب، المفردات: (نسي).

مفصلاتٍ تدلُّ على حقائقِ حدودِ اللهِ وأحكامِهِ، ولجاحدي تلكِ الدَّلالاتِ ومُنكرِها عذابٌ مُدِلٌّ في جهنَّمَ، وذلكَ يومَ يبعثُهُمُ اللهُ جميعاً مِنْ قبورِهِم لموقفِ القيامةِ، فيُخبرُهُم بما عملُوهُ مِنَ الأعمالِ، فقد أَحصى اللهُ ما عملُوا، فعَدَّهُ عليهم، وأثَبَتَهُ وَحَفِظَهُ، ونَسُوهُ هم، واللهُ مُطَّلِعٌ وَرَقِيبٌ على كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَغَيْرِهَا⁽¹⁾.

❁ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلَدغِيُّ:

بلدغةٌ فصلٍ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ الآية:

فَصَلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾ عما قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ مُسْتَأَنَفٌ مَسْوقٌ لَزَفِّ البُشْرَى إلى رسولِ اللهِ ﷺ والمُؤْمِنِينَ بَكَبَتِ أَعْدَائِهِمْ وَإِذْلَالَهُمْ⁽²⁾.

تَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِإِذْلَالِ الْكَافِرِينَ

نكتَةُ التَّوكِيدِ بِ﴿إِنَّ﴾ واسمِيَّةِ الجملة:

أَكَّدَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾ بِ﴿إِنَّ﴾ واسمِيَّةِ الجملة؛ لِأَجْلِ إنْكَارِهِمْ أَنْ يُغْلَبُوا على كَثَرَتِهِمْ وَقَوَّيْتَهُمْ وَضَعِفَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّتْهُمْ⁽³⁾، وَلِتَّنبِيهِ على أَنَّ كَبَتَهُمْ وَإِذْلَالَهُمْ واقِعٌ لا محالة⁽⁴⁾.

الْكَافِرُونَ
مَغْلُوبُونَ وَإِنْ
كُتُّوا

نكتَةُ التَّعْبِيرِ بِالمَوْصُولِ ﴿الَّذِينَ﴾:

جِيءَ بِالمَوْصُولِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾؛ لِلتَّوَصُّلِ لَدَمَّتْهُمَ بما في حَيْزِ الصَّلَةِ، وَهُوَ مُحَادَّتُهُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلِتَّعْلِيلِ حُكْمِ كَبَتِهِمْ وَإِذْلَالِهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كُبِتُوا لِأَنَّهُمْ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَلِيَكُونَ الوَعِيدُ عامًّا يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلَيْسَ المرادُ كُفَّارًا بِأَعْيَانِهِمْ.

مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ذَلَّ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، ص: 236 - 235 / 23، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 41 / 8،

والقاسمي، محاسن التأويل: 165 / 9.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10 / 10.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 355 / 19.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 28.

دلالة صيغة المضارع في ﴿يُحَادِّثُونَ﴾:

استمرار الكفرة
على مُحَادَّةِ الله
ورسوله

عُبرَ بصيغة المضارع في قوله ﷺ: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد؛ أي: مُجَدِّدِينَ المُحَادَّةَ مُسْتَمِرِّينَ عليها⁽¹⁾.

سر التعبير بالمُحَادَّةِ دون غيرها:

للمُحَادَّةِ أنسب
بذكر حدود الله

المراد بالمُحَادَّةِ في قوله جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: المُعَادَاةُ والمُشَاقَّةُ؛ فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ كما أَنَّهُ يَكُونُ فِي شِقٍّ غَيْرِ شِقِّ الْآخَرِ كَذَلِكَ يَكُونُ فِي حَدٍّ غَيْرِ حَدِّ الْآخَرِ، وَلَكِنْ أَوْثَرَ هُنَا لَفْظُ الْمُحَادَّةِ؛ لَوُرُودِهَا فِي أَثْنَاءِ ذِكْرِ حُدُودِ اللَّهِ، فَتَكُونُ أَنْسَبَ بِهَا؛ فَإِنَّ الْمُحَادَّةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحَدِّ⁽²⁾.

وجه إيقاع المُحَادَّةِ على اسم الجلالة:

مُحَادَّةُ رسول
الله مُحَادَّةٌ لِلَّهِ

المراد بالمُحَادَّةِ في قوله تعالى ذكره: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ مُحَادَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُرْسَلِ بِدِينِ اللَّهِ، فَمُحَادَّتُهُ مُحَادَّةٌ لِلَّهِ⁽³⁾، وَبَنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ ذِكْرُ اسْمِ الْجَلَالَةِ تَمْهِيدًا لَذِكْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهُ عَلَى مَنْزِلَةِ الرَّسُولِ مِنَ اللَّهِ ﷻ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: يُحَادِّثُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ⁽⁴⁾، عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ مُضَافٍ.

نكتة إيقاع اسم الجلالة دون غيره:

مُعَادَاةُ الْعَظِيمِ
خَارِجَةٌ عَنْ دَائِرَةِ
الْمَعْقُولِ

أَوْثَرَ اسْمُ الْجَلَالَةِ دُونَ غَيْرِهِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷻ: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ﴾؛ لدلالته على صفات العظمة والجلال التي توجب عدم مُحَادَّتِهِ وَمُعَادَاتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ⁽⁵⁾، فَإِقْدَامُ هَؤُلَاءِ عَلَى مُحَادَّتِهِ وَمُعَادَاتِهِ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ الْمَعْقُولِ، وَفِي ذَلِكَ مِنْ تَقْبِيحِ شَأْنِهِمْ مَا لَا يَخْفَى.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 355/19.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 217/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/28.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/28.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 288/17.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 355/19.

نكتة الإضافة في ﴿وَرَسُولُهُ﴾:

إضافة الرسول إلى اسم الجلالة في قول الباري ﷻ: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لتشريف الرسول وتعظيمه⁽¹⁾، وزيادة التشنيع على مَنْ يُحَادِّثُهُ وَيُخَالِفُهُ وَيُعَادِيهِ.

رسول العظيم
شأنه عظيم

بلغة التعبير بالكبت:

أصل الكبت: الكَبُّ، وقد استعمل في قوله ﷻ هنا: ﴿كُتِبُوا﴾ بمعنى الإخزاء على سبيل المجاز؛ لأن الإخزاء لازم للكبت⁽²⁾.

مَنْ خَالَفَ اللَّهَ
ورسوله فعاقبته
الخزي والإذلال

نكتة التعبير بالماضي في ﴿كُتِبُوا﴾ و﴿كَبِتَ﴾:

الفعل ﴿كُتِبُوا﴾ مُسْتَعْمَلٌ في الوعيد؛ أي: سَيُكَبِتُونَ، فُعِبَرُ عَنْهُ بصيغة الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه؛ لصدوره عَمَّنْ لَا خِلَافَ فِي خَبَرِهِ، ولأنه مَوْثِقٌ بتطهيره بما وَقَعَ لأمثالهم. وقرينة ذلك تأكيد الكلام بـ﴿إِنَّ﴾؛ لأنَّ الكلام لو كَانَ إخباراً عَنْ كَبِتٍ وَقَعَ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مَا يَقْتَضِي تأكيد الخبر؛ إذ لَا يُنَازَعُ أَحَدٌ فيما وَقَعَ⁽³⁾.

إذلال الكافرين
واقع لا محالة

غرض البناء للمفعول في الفعل ﴿كُتِبُوا﴾:

جاء بصيغة المبني للمفعول في قول الحقَّ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كُتِبُوا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ لأنَّ الفاعل متعين، وهو الله ﷻ الذي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

الله تعالى يُعِزُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ
مَنْ يَشَاءُ

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ البناء للمفعول للتنبية على شدة ضعفهم وذللهم وهوانهم، بحيث يَكَبِتُهُمْ كُلُّ أَحَدٍ، وَيَتَخَفُّونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

الكافرون
صائرون إلى
هوانٍ شديد

دلالة التشبيه بالكاف:

الكاف في قول الباري عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

سنة الله في
إذلال الكافرين
واحدة لا تتخلف

(1) البقاعي، نظم الدرر: 355 / 19.

(2) البقاعي، أنوار التنزيل: 193 / 5، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البقاعي: 497 / 18.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 124 / 10، والبقاعي، نظم الدرر: 355 / 19، وابن عاشور، التحرير

والتنوير: 23 / 28.

للتَّشْبِيهِ، فتفيدُ تشبيهَ كَبَتْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وفي ذلك فَتٌّ في عَضْدِهِمْ بالتَّشْبِيهِ على أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ اللَّهَ تَعَالَى، بل هو قَادِرٌ عَلَيْهِمْ اقْتِدَارُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وذلكَ بِمَنْزِلَةِ قَرْنٍ كَبَتْ هَؤُلَاءِ بِالْدَّلِيلِ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

دلالة (ما) في ﴿كَمَا كُتِبَ﴾:

(ما) في قول الحقِّ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مصدريةٌ، والمعنى: كَكَبَتْ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. وعدَلَّ عن التَّعبيرِ بالمصدر الصَّرِيحِ (كَبَتْ) إلى التَّعبيرِ بالْمَوْضُولِ مِنْ (ما) المصدريةِ والفعلِ الماضي بعدها؛ لِيُفِيدَ الفعلُ بصيغةِ الْمُضِيِّ تَقَرُّرَ هَذَا الْأَمْرِ، بِتَقْيِيدِ حُصُولِهِ فِيهَا مَضًى.

غرضُ التَّعبيرِ بِالْمَوْضُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:

جاءَ بِالْمَوْضُولِ ﴿الَّذِينَ﴾ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷻ: ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قَوْمٍ مَعْهُودِينَ مَعْرُوفِينَ، وَهُمْ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ⁽²⁾، أَوِ الَّذِينَ حَادَوْا اللَّهَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ جَيِّدًا⁽³⁾، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى وَأَعَمُّ وَأَدْخَلَ فِي الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْحَثِّ عَلَى تَرْكِ الْمُحَادَّةِ.

معنى ﴿مِنْ﴾ فِي ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:

﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِ الْبَارِي جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ لِبَتْدَاءِ الْغَايَةِ الزَّمَانِيَّةِ، فَتَفِيدُ أَنَّ زَمَانَ الْمَكْبُوتِينَ السَّابِقِينَ قَبْلَ زَمَانِ هَؤُلَاءِ الْمُحَادِّينَ.

وجهُ التَّعبيرِ بـ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:

لَمَّا كَانَ الْمُحَادِّونَ لَمْ يَسْتَغْرِقُوا جَمِيعَ الْأَزْمَانِ الْمَاضِيَةِ وَالْأَمَّاكِنِ أَدْخَلَ الْجَارُ، فَقِيلَ: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، وَلَمْ يُقَلَّ: (قَبْلَهُمْ)⁽⁴⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 355/19، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/28.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 489/4، وَابْنُ عَطِيَّةٍ، الْحَرَرُ الْوَجِيزُ: 276/5.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/28.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 356/19.

كَبَتْ الْمَذْكُورِينَ
مِثْلُ كَبَتْ
أَسْلَافِهِمْ

مَنْ وُعِظَ بِكَبَتْ
غَيْرِهِ اتَّعَظَ
واعتبر

زَمَانُ الْمَكْبُوتِينَ
السَّابِقِينَ مُتَقَدِّمٌ
عَلَى زَمَنِ هَؤُلَاءِ

لِلْمُحَادِّينَ لَمْ
يَسْتَغْرِقُوا
جَمِيعَ الْأَزْمَانِ
الْمَاضِيَةِ

دلالة الواو في ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ حَالِيَّةٌ، والجملةُ حالٌ مِنْ واوِ ﴿كُتِبُوا﴾؛ أي: كُتِبُوا لمُحَادَّتِهِمْ والحالُ أَنَّنَا قد أنزلنا آياتٍ واضحاتٍ فيَمَنْ حادَّ اللهَ ورسوله مَمَّنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ وفيما فعلنا بهم⁽¹⁾، وفي ذلك تسفيهٌ لرأيهم؛ إذ حالهم حالٌ مَنْ يَقَعُ في حُفْرَةٍ وهو يراها وينظرُ إليها وَيُمْكِنُهُ اجْتِنَابُهَا.

سَفَاهَةٌ رَأْيٍ مَنْ
يُعَادِي الْحَقَّ
وَهُوَ يَعْلَمُ سُوءَ
الْعَاقِبَةِ

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةً بَيْنَ جُمْلَةٍ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وجُمْلَةٍ ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، ومعنى الاعتراض: لا عذرَ لهم في مُحَادَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَإِنَّ مع الرَّسُولِ ﷺ آياتٍ بَيِّنَةٌ على صدقه⁽²⁾.

لَا عُذْرَ لِمَنْ يُحَادُّ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ

دلالة (قد) في ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾:

(قد) في قوله ﷺ: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ حرفٌ تحقيق⁽³⁾، فيُفِيدُ تحقيقَ إنزالِ الآياتِ البَيِّنَاتِ.

إِنْزَالُ الْآيَاتِ
الْبَيِّنَاتِ مُتَحَقِّقٌ

نكتة صيغة الماضي في ﴿أَنْزَلْنَا﴾:

جاءَ بالفعل ﴿أَنْزَلْنَا﴾ على صيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ للتَّسْبِيهِ على أَنَّ إنزالَ الآياتِ البَيِّنَاتِ أمرٌ قد تحقَّقَ ومضى، فلا شكَّ فيه ولا ارتيابَ.

إِنْزَالُ الْآيَاتِ
الْبَيِّنَاتِ مُتَيَقَّنٌ

سُرُّ إسنَادِ الإنزالِ إِلَى ضَمِيرِ الْعِظَمَةِ:

أُسْنِدَ فعلِ الإنزالِ إِلَى ضَمِيرِ الْعِظَمَةِ في قوله تعالى شأنه: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ لدلالته على تعظيم شأنِ الإنزالِ؛ أي: أنزلنا بما لنا مِنَ الْعِظَمَةِ⁽⁴⁾، وذلك أَنَّ فعلَ الْعِظِيمِ عَظِيمٌ.

الْأَفْعَالُ تَعَظَّمُ
بِعَظْمَةِ فَاعِلِهَا

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 217/8، والآلوسي، روح المعاني: 216/14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/28.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/10.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 356/19.

بلاغة التعبير بلفظ (الآيات) مجموعاً:

الآيات علامات
على صدق
الرسالة

تعدُّ الآيات
أبلغ في إقامة
الحجة

عظمة آيات
التنزيل وفخامة
شأنها

لا لبس في آيات
التنزيل ولا
غموض فيها

الكافرون
مجموع لهم
بين خزي الدنيا
وعذاب الآخرة

المُحَادَثُونَ فِي
عَذَابٍ مُّقِيمٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ

عُبِّرَ بِالْآيَاتِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷺ: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ لَأَنَّهَا علاماتٌ تدلُّ على صدقِ المرسلِ بها وصحة ما جاء به من عند ربِّه⁽¹⁾. وَجُمِعَتِ الْآيَاتُ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثَرَتِهَا، وَذَلِكَ أبلغُ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ كَثُرَتِ الْآيَاتُ تَسْتَدْعِي كَثْرَةَ التَّنْبِيهِ وَالْإِرشَادِ وَالِاسْتِدْلَالَ عَلَى صَدَقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَصَحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ، وَلَوْ كَانَتْ آيَةً وَاحِدَةً لَرُبَّمَا تَذَرَّعُوا بِأَنَّهَا غَيْرُ كَافِيَةٍ.

غرض تنكير ﴿آيَاتٍ﴾:

تنكير ﴿آيَاتٍ﴾ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّهْوِيلِ؛ أَي: آيَاتٍ عَظِيمَاتِ الشَّانِ، لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُنَّ.

سر وصف الآيات بالبينات:

وُصِفَتِ الْآيَاتُ بِالْبَيِّنَاتِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷺ: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى وُضُوحِهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَرَادِ بِهَا، وَأَنَّهَا لَا لَبْسَ فِيهَا وَلَا غُمُوضَ، وَفِي ذَلِكَ قَطْعٌ لِسَلَكِ أَعْدَادِ الْمُشْرِكِينَ وَحُجَجِهِمْ⁽²⁾.

دلالة الواو في ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

الواو فِي قَوْلِ الْبَارِي ﷻ: ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ عَاطِفَةٌ، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أَي: لَهُمْ بَعْدَ الْكَتَبِ عَذَابٌ مُّهِينٌ فِي الْآخِرَةِ⁽³⁾، أَوْ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ مَحْذُوفَةٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا السِّيَاقُ، وَالتَّقْدِيرُ: فَلِلْمُؤْمِنِينَ نَعِيمٌ مُقِيمٌ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ⁽⁴⁾.

بلاغة التتميم أو التذييل في جملة الفاصلة:

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ إِمَّا تَتِمِيمٌ وَإِمَّا تَذْيِيلٌ، فَإِذَا

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 489.

(2) الألوسي، روح المعاني: 14/ 216.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 24.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 356.

جُعِلَتِ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ للعهدِ كَانَ الْكَلَامُ تَتِمُّيمًا بَوَضْعِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، وَالْمَعْنَى: لِأُولَئِكَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَتَّبِعُوا الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، بَلْ حَادُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ، وَالطَّرْفُ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ﴾ مَنْصُوبٌ بِالْكَوْنِ الْمَحْذُوفِ الْوَاقِعِ خَبَرًا، الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ؛ أَي: وَعَذَابٌ مُهِينٌ كَائِنٌ لِلْكَافِرِينَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ.

وَإِذَا جُعِلَتِ اللَّامُ لِلْجِنْسِ كَانَ الْكَلَامُ تَذْيِيلًا، فَتَشْمَلُ اللَّامُ جِنْسَ الْكَافِرِينَ كُلَّهُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ أُولَئِكَ الْمُحَادِّثُونَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَيَنْتَسِبُ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ﴾ بِإِضْمَارِ (أَذْكَرُ)؛ لِتِمَامِ الْكَلَامِ هُنَاكَ⁽¹⁾.

معنى اللام الجارة في قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾:

اللَّامُ الْجَارَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لِلْإِسْتِحْقَاقِ، فَتُفِيدُ أَنَّ الْكَافِرِينَ جَمِيعًا، أَوْ الْمُحَادِّثِينَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مُسْتَحِقِّونَ لِمَا أُعِدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ.

بلادة التعبير باسم الفاعل في ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾:

عُبِّرَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ الْمَجْمُوعِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى كَثَرَتِهِمْ، وَعَلَى رُسُوخِهِمْ فِي الْكُفْرِ؛ أَي: وَلِلرَّاسِخِينَ فِي الْكُفْرِ عَذَابٌ مُهِينٌ⁽²⁾، وَفِي ذَلِكَ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْكُفَرَ صَارَ كَصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْجَبِلِيَّةِ الَّتِي لَا تُفَارِقُهُمْ.

نكتة الإيجاز في ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾:

قَوْلُهُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ فِيهِ إِيجَازٌ بِحَذْفِ مُتَعَلِّقِ الْكُفْرِ؛ إِذِ الْمَعْنَى: وَلِلْكَافِرِينَ بِمَا يَجِبُ الْإِقْرَارُ وَالْإِيْمَانُ بِهِ. وَحَذْفُهُ زِيَادَةٌ فِي الذَّمِّ؛ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ عَمُومٍ وَشُمُولٍ لِكُلِّ مَا يَوْجِبُ الْإِيْمَانَ.

الكَافِرُونَ
فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ

الكَافِرُونَ
مُسْتَحِقِّونَ
لِلْعَذَابِ الْمُهِينِ

الْكُفْرُ صِفَةٌ
رَاسِخَةٌ فِي
الْكَافِرِينَ

الْكَافِرُ مُنْكَرٌ لِكُلِّ
مَا يَجِبُ الْإِيْمَانُ
بِهِ

(1) الطَّبِي، فتوح الغيب: 278 / 15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 356 / 19، والشربين، السراج المنير: 224 / 4.

غرض تقديم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾:

استحقاق
العذاب
للكافرين
للعذاب
مخاطب
الاهتمام
والعناية

قَدْماً ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ على ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ للاهتمام بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر، وهو العذاب المهيّن؛ لِيَتِمَّكَنَ فِي النَّفْسِ عِنْدَ وُجُودِهِ عَلَيْهَا فَضْلَ تَمَكُّنٍ، ولأنَّ في تأخير ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ رعاية للفواصل.

نكتة تنكير ﴿عَذَابٌ﴾:

عذاب الكافرين
شديد الهول
والفظاعة

نُكِّرَ ﴿عَذَابٌ﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لتهويل شأن العذاب وتعظيمه وتفخيمه؛ أي: عذاب عظيم فظيع هائل، لا يُقَادَرُ قَدْرُ هَوْلِهِ.

سر وصف العذاب بالمهيّن دون غيره:

عاقبة المحادين
المتعاليين
التكبريين
الذل والهوان
والصغار

وُصِفَ الْعَذَابُ بِالْمُهَيِّنِ فِي قَوْلِ الْبَارِي ﷻ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لِأَنَّهُ يَذْهَبُ بِعِزِّهِمْ وَتَكَبُّرِهِمْ⁽¹⁾. وقد أَوَثَرَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ (الْأَلِيمِ وَالشَّدِيدِ وَنَحْوِهِمَا)؛ لِأَنَّ قَبْلَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وَالْمُحَادَّةُ هِيَ الْمُعَادَاةُ وَالْمُشَاقَّةُ، وَمِنْ لَوَازِمِهَا الظُّهُورُ وَالْارْتِفَاعُ، وَالْإِهَانَةُ مِنْ لَوَازِمِهَا الذُّلُّ وَالْخُضُوعُ⁽²⁾، فَعُومِلُوا بِنَقِيضِ مَا أَظْهَرُوا. وَأَيْضًا وَصَفُ الْمُهَيِّنِ يُنَاسِبُ وَعِيدَهُمْ بِالْكِبَتِ الَّذِي هُوَ الذُّلُّ وَالْإِهَانَةُ⁽³⁾.

نكتة الجاز في ﴿مُهَيِّنٌ﴾:

المهيّن هو
العذاب، لا
العذاب

فِي وَصْفِ الْعَذَابِ بِالْمُهَيِّنِ فِي قَوْلِ الْبَارِي ﷻ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مجازٌ عقليٌّ؛ بِإِسْنَادِ الْإِهَانَةِ إِلَى السَّبَبِ، لِأَنَّهَا لَا تُتَّصَرُّوْا مِنَ الْعَذَابِ، إِذِ الْعَذَابُ هُوَ سَبَبُ الْإِهَانَةِ، وَإِنَّمَا الْمُهَيِّنُ هُوَ الْمَعْدَبُ بِهِ ﷻ⁽⁴⁾.

بلاغة موقع ﴿يَوْمَ﴾ من حيث الإعراب:

يوم الحساب
والجزاء يوم
عظيم الشأن

تَقَدَّمَ أَنَّ الطَّرْفَ ﴿يَوْمَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾

(1) الزمخشري، الكشاف: 489/4، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 193/5.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 180/4.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/28.

(4) الخفاجي، عناية القاضى: 168/8.

منصوبٌ بإضمارِ (اذكُرْ) على أنه مفعولٌ به لا ظرفٌ له، تعظيمًا لليوم وتهويلًا له⁽¹⁾؛ لما في تقديرِ (اذكُرْ) مِنْ تأكيدِ استقلالِ الجملة، والحثُّ على تذكُّرِ ما يَجري في ذلك اليومِ الهائلِ العظيم. أو هو منصوبٌ بالكونِ المحذوفِ المقدر في خبرِ قوله سبحانه: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ على قصدِ اتِّصالِ الكلامِ بعضُه ببعضٍ، وعدمِ استقلالِ قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ﴾، كما يجوزُ أن يكونَ منصوبًا باسمِ الفاعلِ ﴿مُهِينٌ﴾.

نكتة صَوْغِ الْفِعْلَيْنِ ﴿يَبْعَثُهُمْ﴾ و﴿فَيَنْبِئُهُمْ﴾ مُضَارِعَيْنِ:

عَبَّرَ بصيغة المضارع في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾؛ لَأَنَّ البعثَ والتَّنبئةَ أمرانِ مُستقبلانِ، ولتصويرِ حَدَثِي البعثِ والتَّنبئةِ العظيمينِ الهائلينِ؛ لأجلِ تربيةِ المهابةِ في النفوسِ، وحثِّها على تركِ ما هي مُقيمةٌ عليه مِنَ المُحَادَّةِ والمُشَاقَّةِ.

مَرْجِعُ الْهَاءِ فِي الْفِعْلَيْنِ:

ضميرُ الجمعِ في قوله تعالى: ﴿يَبْعَثُهُمْ﴾، و﴿فَيَنْبِئُهُمْ﴾ عائِدٌ إلى ﴿الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ و﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁽²⁾.

نكتة التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْجَدَالَةِ:

أَوْثَرَ لفظُ الجلالةِ على غيرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى في قولِ الحقِّ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ لتربيةِ المهابةِ في مقامِ التَّهْدِيدِ والوعيدِ، وذلكِ يناسبُهُ الْإِتْيَانُ بِاللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى صِفَاتِ الْعِظَمَةِ والجلالِ لِمَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ⁽³⁾.

بِلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِ﴿جَمِيعًا﴾:

عَبَّرَ بِ﴿جَمِيعًا﴾ في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ لِدَفْعِ تَوْهَمِ عَدَمِ الشُّمُولِ، وللتَّصْصِيصِ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ شَامِلٌ لِلْمُحَادِّينِ

الْبَعْثُ وَالتَّنبِئَةُ
مَشْهَدَانِ مُهَيِّبَانِ
عَظِيمَانِ

الْبَعْثُ شَامِلٌ
لِلْمُحَادِّينِ
وغيرهم

يَوْمُ الْقِيَامَةِ
يَوْمُ تَجَلَّى
ذِي الْعِظَمَةِ
وَالْجَدَالِ

الْهُ تَعَالَى
مُقْتَدِرٌ عَلَى
جَمِيعِ الْمُخَالِفِينَ
لشَرَائِعِهِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29 / 488، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17 / 289، والقونوي،

حاشية على تفسير البيضاوي: 18 / 498.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 24.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 357.

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، بَحِيثٌ لَا يُتْرَكُ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرَ مَبْعُوثٍ⁽¹⁾، وَفِي ذَلِكَ مَزِيدٌ تَخْوِيفٍ وَتَهْدِيدٍ وَإِظْهَارٍ لِأَقْتَدَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَهُ.

دلالة العطف بالفاء في ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾:

الإخبار بالأعمال
يكون عقب
البعث

الفاء عاطفة للتّرتيب والتّعقيب، كما يُلَمَحُ فيها معنى السّببية؛ إذ لما كان لا أوجع من التّبكيت بحضرة بعض النّاس - فكيف إذا كان بحضرتهم كلّهم؟ وكيف إذا كان بمرأى من جميع الخلائق ومسمّع؟ - سبّب عن بعثهم وعقب بقوله: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾⁽²⁾.

غرض الإخبار بقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾:

الخزئ
والفضيحة
لاحقان
بالحادّين
وأسلافهم يقيناً

في قوله ﷻ: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ تهديدٌ بفضّحهم يومَ البعث، وتشهيرٌ لحالهم، وتقديرٌ لعذابهم⁽³⁾. وفيه أيضاً كناية عن الجزاء على أعمالهم⁽⁴⁾.

دلالة التّضعيف في الفعل (يُنَبِّئُهُمْ):

الإخبار بالأعمال
يوم القيامة
يسْتَقْصِي كُلَّ
شيء

جاء بالفعل (يُنَبِّئُهُمْ) مُضَعَّفَ الْعَيْنِ، وَلَمْ يُقَلَّ: (يُنَبِّئُهُمْ) بِالْتَّخْفِيفِ؛ لِمُبَالَغَةِ فِي شِدَّةِ التَّنْبِيءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، وَلِلتَّنْبِيءِ عَلَى أَنَّهُ تَنْبِيءٌ يَسْتَقْصِي كُلَّ شَيْءٍ⁽⁵⁾.

معنى الباء في ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾:

الأعمال متعلّق
يوم التّنبية يوم
البعث

الباء في قوله ﷻ: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ لتعدية الفعل إلى مفعوله الثّاني. وفيه إشارة إلى أصل معناها وهو الإلصاق المعنوي، لكونه معنًى لا يفارقها كما هو مُقَرَّرٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النُّحَوِيِّينَ.

(1) الزّمخشرى، الكشاف: 4/ 489، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 498، وابن عاشور،

التّحرير والتنوير: 28/ 24.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 357.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 193.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 24.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 357.

دلالة (ما) في ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾:

(ما) في قول الله جل ذكره: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ موصولة وعائدها محذوف؛ أي: فينبئهم بالذي عملوه، والمراد من التعبير بها إفادة العموم، فيفيد الكلام التنبئ بجميع الأعمال يوم البعث، وفي ذلك من التهويل والترجيع ما لا يخفى.

ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، والتقدير: فينبئهم بعملهم، والتعبير بالمصدر المؤول للدلالة على تحقق تلك الأعمال وحفظها عليهم.

دلالة صيغة الماضي في ﴿عَمِلُوا﴾:

عبر بصيغة الماضي في قول الله ﷻ: ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾؛ لأن التنبئة تكون بما صدر عنهم من الأعمال في الحياة الدنيا، التي هي دار السعي والعمل⁽¹⁾، وقد مضت هذه الأعمال وانقضت.

سر التعبير بالعمل دون غيره:

عبر بالعمل دون غيره من (ال فعل والصنع ونحوهما) في قول الحق ﷻ: ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾؛ لأن العمل يكون بقصد من العامل، وفي ذلك إشارة إلى أن ما صدر عنهم في الدنيا من الأعمال، ونبتوا به قد صدر بإرادتهم وقصدهم، وفي ذلك قطع لأعذارهم وتعللاتهم.

علة فضل قوله سبحانه: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾:

فُصل قوله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ عما قبله؛ لما بينهما من شبه كمال الاتصال؛ لأنه استئناف بياني وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله، وهذا السؤال إما عن كيفية التنبئة وإما عن سببها، كأنه قيل: كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض متقضية متلاشية؟ فقيل: أحصاه الله عدداً، لم يفته منه شيء⁽²⁾.

ويُحتمل أن تكون جملة ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ في موضع الحال من

كل عمل ابن
آدم مُحصى
عليه

الدنيا مزرعة
الآخرة

كل إنسان
مرهون بكسب
يده

لا يغسر على
الله تعالى ضبط
أعمال عباده

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 289 / 17.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 218 / 8، والآلوسي، روح المعاني: 217 / 14.

الموصول في قوله: ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾، والمقصود من الحال هو ما عُطِفَ عليها من قوله: ﴿وَنَسُوهُ﴾؛ لأنَّ ذلك محلُّ العبارة، وبه تكون الحال مؤسَّسة لا مؤكَّدة لعاملها، وهو ﴿فَيَنْبِئُهُمْ﴾؛ أي: علِّمه الله علماً مفصَّلاً من الآن وهم نسوه⁽¹⁾.

دلالة الماضي في ﴿أَحْصَهُ﴾:

جاء بصيغة الماضي في قول الباري ﷻ: ﴿أَحْصَهُ اللَّهُ﴾؛ للتنبية على أن إحصاء الله تعالى لما عملوه أمرٌ قد تحقَّق ومضى، وفي ذلك إيقاظٌ لبواعث الخوف والخشية في نفس كلِّ عاقلٍ؛ ليستشعر مراقبة الله تعالى لحركاته وسكناته.

بلاغة المجاز بلفظ الإحصاء:

في قول الحق ﷻ: ﴿أَحْصَهُ اللَّهُ﴾ مجازٌ لطيفٌ، وذلك بجعل الإحصاء مجازاً عن إحاطة علمه تعالى بأعمالهم عدداً⁽²⁾، بحيث لم يفتَّه منها شيء⁽³⁾، وقد أحاط بجميع أحوال تلك الأعمال من الكمِّيَّة والكيفيَّة والزَّمان والمكان؛ لأنَّه تعالى عالمٌ بالجزئيات⁽⁴⁾. وفي ذلك إقامةٌ للحجَّة البالغة عليهم⁽⁵⁾.

سرُّ إظهار اسم الجلالة في ﴿أَحْصَهُ اللَّهُ﴾:

الظاهر أن يقال: (أحصاه) دون اسم الجلالة؛ لتقدُّم ذكره، لكنَّ عدلَ إلى الإظهار في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿أَحْصَهُ اللَّهُ﴾؛ لما يدلُّ عليه هذا اللفظ من صفات العظمة والجلال والجمال⁽⁶⁾، ومنها العلمُ المحيط بكلِّ شيءٍ، فيكونُ مُلائماً لذكر الإحصاء.

الله تعالى رقيبٌ
على كلِّ شيءٍ

علمُ الله تعالى
محيطٌ بكلِّ ما
يعمله عباده

علمُ العظيم
سبحانه عظيمُ
الشَّأن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25 / 28.

(2) ابن التَّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 499 / 18.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 193 / 5.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 488 / 29.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 289 / 17.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 357 / 19.

دلالة الواو في ﴿وَنَسُوهُ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوهُ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾⁽¹⁾. وفي هذا العطفِ مقابلةٌ بين إحصاءِ الله تعالى لأعمالهم - وهو علمُه المحيطُ بها - وبين نسيانِ أصحابِ الأعمالِ لها في الدنيا بَلَه الآخرة، فيفيدُ الكلامُ كمالَ الخالقِ ونقصَ المخلوقِ.

بلغة التعبير بلفظ النسيان ماضياً:

في التعبيرِ بالنسيانِ في قوله ﷻ: ﴿وَنَسُوهُ﴾ تسجيلٌ عليهم بأنهم تهاونوا بالأعمالِ حين ارتكبوها، فلم يُبالوا بها؛ لضرورتهم بالمعاصي وكثرة ارتكابهم لها، ولذلك نسوها؛ لأنه إنما تحفظُ مُعْظَمَاتُ الأمور⁽²⁾.

وجيء بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿وَنَسُوهُ﴾؛ للتنبيه على أن نسيانهم لما عملوه أمرٌ قد تحقق ومضى؛ لأنهم نسوه في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

دلالة الواو في جملة الفاصلة:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ استئنافٌ، والجملة تذييلٌ مقررٌ لما قبله⁽³⁾؛ إذ كونه تعالى شهيداً على كل شيءٍ يُؤكِّدُ إحصاءَهُ لأعمالِ عباده. ويحتَمِلُ أن تكون الواو لعطفِ هذه الجملة على جملة محذوفة، والتقدير: فالله بكل شيءٍ من أعمالهم وغيرها عليمٌ، والله على كل شيءٍ شهيدٌ⁽⁴⁾.

سرُّ إظهار اسم الجلالة وتكراره:

الظاهر أن يقال في جملة الفاصلة: (وهو على كل شيءٍ شهيدٌ)؛ لتقدم ذكر اسم الجلالة، لكن عدل إلى الإظهار في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ لتأكيد استقلال جملة التذييل بحيث تجري مجرى

ضَغَفُ عِلْمِ
المخلوقِ وعَظْمَةُ
عِلْمِ الخالقِ

المُشْرِكُونَ
مُتَهَاوِنُونَ بِأَمْرِ
عَظِيمٍ

نَسْيَانُهُمْ
أَعْمَالَهُمْ أَمْرٌ
مُتَحَقِّقٌ

مَنْ كَمَلَ عِلْمُهُ
أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ
عَدَدًا

اللهُ تعالى
مُتَّصِفٌ بِالْقُدْرَةِ
الشَّامِلَةِ وَالْعِلْمِ
المُحِيطِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/28.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/489، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/488.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/499، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/28.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/358.

الأمثال، وللتصريح بالاسم الدال على صفات العظمة والجلال، التي منها كونه تعالى مُتَّصِفًا بِالْقُدْرَةِ الشَّامِلَةِ وَالْعِلْمِ الْمَحِيطِ.

معنى ﴿عَلَى﴾ في ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾:

﴿عَلَى﴾ في قول الباري ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ للاستعلاء المجازي، فتفيد أن الأشياء مقهورة تحت سلطان علمه تعالى وقدرته، وكأن علمه تعالى مُسْتَعْلٍ عَلَيْهَا⁽¹⁾.

دلالة الإضافة في ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾:

إضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿شَيْءٍ﴾ في قول الحق ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ لتأكيد عموم كلمة ﴿شَيْءٍ﴾، وبيان شمولها لما ذُكِرَ وما لم يُذْكَرْ، بحيث لا يخرج شيء عن علمه تعالى⁽²⁾.

غرض تقديم ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾:

قُدِّمَ القيد ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ على عامله، وهو الخبر ﴿شَهِيدٌ﴾ في قوله جل ذكره: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ للاهتمام بالمقدم، والمُسَارعة في إثبات كون كل شيء تحت سلطان علم الله، وذلك أنسب لمقام الإخبار بإحاطة علمه ﷻ، ولأن في تأخير ﴿شَهِيدٌ﴾ رعاية لتلاؤم الفواصل.

نكتة التعبير بلفظة ﴿شَهِيدٌ﴾ دلالة وصيغة:

عُبرَ بلفظ ﴿شَهِيدٌ﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ للتنبية على أنه ﷻ مُطَّلِعٌ وَنَاطِرٌ، لا يخفى عليه شيء⁽³⁾، وحفيظ حاضر لا يغيب⁽⁴⁾.

وأوثرَت صيغة (فعليل) في قوله تعالى شأنه: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

جميع الأشياء
تحت سلطان
علم الله تعالى
وقدرته

تأكيد سعة
علمه تعالى
تأكيداً بعد تأكيد

الاهتمام
بالتنصيص على
إحاطة علمه
تعالى بكل شيء

الله حفيظ على
كل شيء

(1) البقاعي، نظم الدرر: 358 / 19.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 358 / 19.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 289 / 17.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 358 / 19.

شَهِيدٌ، ولم يُقَلْ: (شاهد)؛ للمبالغة في اتِّصافِهِ ﴿بِ﴾ بكونِهِ شاهدًا على كلِّ شيءٍ، وفي ذلك مزيدٌ تأكيدٌ على شُمُولِ عِلْمِهِ.

❁ **الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:**

الْبَعْثُ وَالْإِحْيَاءُ وَالنُّشُورُ:

الْبَعْثُ: إثارةُ الشيءِ وتوجيهُهُ، ويختلفُ بحسَبِ اختلافِ ما عُلقَ به؛ فبعثُ البعيرِ: إثارتُهُ وتسييرُهُ، وبعثُ الموتى: إخراجُهُم من قبورِهِم، وتسييرُهُم إلى القيامةِ، وأمَّا الإحياءُ فهو جعلُ الحياةِ تَدَبُّ في الشيءِ⁽¹⁾. وبناءً على ذلك يكونُ البعثُ أعمُّ من الإحياءِ؛ لأنَّهُ يُستعملُ في إحياءِ الموتى وإخراجِهِم للقيامةِ، ويُستعملُ في غيرِهِ، كإثارةِ البعيرِ وتسييرِهِ. وأمَّا النُّشُورُ فيكونُ بعدَ البعثِ؛ لأنَّهُ جَعَلَ الموتى يَنْتَشِرُونَ في الأرضِ بعدَ بعثِهِم، ويتفرَّقُونَ فيها حتَّى يَجْمَعَهُم موقفُ الحشرِ⁽²⁾. وقد عبَّرَ بالبعثِ هنا؛ لأنَّهُ يشيرُ إلى عِدَّةِ أهوالٍ من أهوالِ القيامةِ، فهو يشيرُ إلى الإحياءِ والإخراجِ مِنَ القبورِ.

الْإِنْبَاءُ وَالْإِخْبَارُ:

النَّبَأُ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ أو غَلْبَةٌ ظَنٌّ، ولا يقالُ للخبرِ: نبأٌ حتَّى يتضمَّنَ هذه الأشياءَ الثلاثةَ، وحقُّ الخبرِ الَّذي يقالُ فيه: نبأٌ أنْ يخلو عن الكذبِ، كالتَّوَاتُرِ، وخبرِ اللَّهِ تعالى، وخبرِ النَّبِيِّ ﷺ⁽³⁾. وبناءً على ذلك يكونُ الإنباءُ هو الإخبارُ بما له فائدةٌ عظيمةٌ، بحيثُ يحصلُ بِهِ عِلْمٌ أو غَلْبَةٌ ظَنٌّ.

وقد اختيرتِ التَّنْبِئَةُ هنا؛ لإفادةِ تعظيمِ شأنِ الإخبارِ بالأعمالِ في الآخرةِ⁽⁴⁾، وأنَّ المُخْبِرِينَ يحصلُ لَهُم عِلْمٌ بعدَ إخبارِهِم بأعمالِهِم، وذلك أنسبُ لمقامِ إقامةِ الحجَّةِ عليهم.

اتَّصَفَ اللَّهُ
تعالى بِالْعِلْمِ
على وَجْهِه
المبالغة

الْبَعْثُ أَنْسَبُ
لِمَقَامِ التَّهْوِيلِ

الْإِخْبَارُ بِالْأَعْمَالِ
فِي الْآخِرَةِ عَظِيمُ
الشَّأْنِ

(1) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 286.

(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 288.

(3) الرَّاغِب، للفردات: (نبأ)، والالوسي، روح المعاني: 13/ 297.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 357.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،

سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10

مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10

[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.

مج. 60، 802 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 1-66-643-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 60: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 1-66-643-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،

الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"